ترجمة:

Quelle condition humaine face à la mondialisation ?

jeudi 28 mai à 18h00 Institut Français de Tlemcen
Conférence animée par Hervé Juvin

ترجمة : د.أحمد عطار[*]

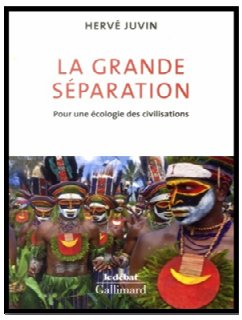

Quelle condition humaine face à la mondialisation ?
jeudi 28 mai à 18h00 Institut Français de Tlemcen
Conférence animée par ***Hervé Juvin***
Traduction du Conférence ***Attar ahmed***

ترجمة المحاضرة: التي ألقاها المفكر: "**هيرفي جيفان**" في المعهد الفرنسي بتلمسان وفي نفس الوقت هي جزء من كتابه الجديد: "**الإنفصالات الكبرى**" دار النشر غاليمار (سلسلة نقاش) 2013. باريس.

Hervé Juvin . Son ouvrage "La grande séparation, pour une écologie des civilisations" aux éditions Gallimard.

من يكون "**هيرفي جيفان**" ؟، سنمائي وخريج معهد العلوم السياسية، صاحب توجهات **يسارية** فلقد كان مقربا من الفلاسفة: "**ميشال سير**" و"**روجيه دوبريه**" و"**مارسيل غوشيه**" وهو الآن رئيس معهد أرويا للدراسات الإستراتيجية، ألف عشرات الكتب والمقالات أهمها كتاب: الانقلاب السياسي للعالم 2010، وثلاثيته التي تحمل عنوان: الاستراتيجيات..، سنوات / 1992، 1994، 1996، وتكمن أهمية أعمال "**هيرفي جيفان**" في تطبيق **المنهج النقدي** على موضوعات العالم المعاصر.

---

*- **جامعة تلمسان.**

نص المحاضرة المترجم:

العنوان:أي وضع للإنسانية مقابل العولمة؟

في البداية يجب أن نستذكر عبارة "**لروجيس دوبريه**" (**Régis Debray**) يقول فيها : "**{ما أحوجنا لفن قول الأشياء العميقة ببساطة}**، وفن قول الأشياء المعقدة ببساطة هو ما يدفعنا إلى طرح فرضية عميقة لكن بشكل واضح: نقول فيها: "إن العالم الذي نراه اليوم في وسائل الإعلام المأدلجة ليس نفسه العالم الحقيقي في الواقع، فما نعتقد إننا نراه هو عالم سطحي سعيد بالعولمة يتشابه فيه البشر الذين يسعون وراء مصالحهم الاقتصادية، لكن الحقيقة الفعلية هي أننا أمام عالم مثخن "**بالإنفصالات الكبرى**" إنفصالات مع التاريخ وجذورنا والدين والثقافات القديمة، لنصل إلى مشهد "**ميلاد إنسان جديد**" سمته الفارقة هو أنه غير محدد، إنسان ليس لديه أصول ولا أرض ولا معتقدات، محدد هويته الأساسية هو: **الاستهلاك الاقتصادي**، أو كما قال: الفيلسوف الألماني "**هربرت ماركيوز**" (**Herbert Marcuse**) "{أنا استهلاك إذا أنا موجود} ؛ أي ما سمي فيما بعد {كوجيتو الاستهلاك} الذي تحركه الملذات الدعائية.

يشتكل اليوم عالم مختلف تنتهي فيه ما سماه "**فرانسوا ليوتارد**" (**Jean François Lyotard**): {نهاية الحكايات الكبرى} (**métarécit**) فوجب اليوم التوقف عن الحديث حول: الهويات العامة والديمقراطية الكونية وتصورات اختصار الإنسانية في نموذج واحد هو النموذج الغربي الأعلى للتقدم، ما أريد أن انطلق منه وأريد أن أدافع عنه الآن هو: أن إنسان اللحظة مختلف كليا عن التصور الكلاسيكي الذي كان مطروحا منذ قرون، إن "**الوضع الإنساني اليوم**" يعيش اكبر تحد له منذ قرون، وهو أمام سؤالين جوهريين هما :أولا. أين يأخذنا مجتمع **الفردانية؟**، ثانيا: أي حضارة ستكون لهذا الإنسان الحائر؟ **Confus**.

عندما نتكلم عن إنسانا جدي فلا يحمل المعنى الجوانب الثقافية فحسب، بل انه أول ما يلمس هو الجانب البيولوجي؛ فكل الدراسات تشير إلى تحول عميق لإنسان اليوم على مستوى التغذية، وزادة الثورة البيولوجية

في تميزه عن "**النسالة**"* التي كانت قبله، ولن نتكلم عن الثورة الجينية، بل سنعرض وجه آخر واضح للعيان؛ فعلى صعيد "مدة العيش" مثلا نرى طول المعدل العمري لحياة الفرد بعد أن كان معدل الوفيات مرتفعا عند الأطفال وتضطر العائلة القديمة على كثرة الإنجاب، أصبح البشر اليوم يعيش لمدة أطول ، أما التحول الثاني هو: الانفجار الديمغرافي وارتفاع عدد السكان، ما سبب قلق الخليقة من نضوب موارد الطبيعية؛ إضافة إلى قلقها من نتائج الانفجار الديمغرافي على الايكولوجية.

كل هذه المعطيات جعلت شروط وجود الإنسان على الأرض مختلفة تماما عن الشروط القديمة، إضافة إلى ذلك جاءت التقنية لتقدم تحولا عميقا على "**وعي البشر**" ولنأخذ مثالا بسيط هو "الهاتف النقال" هذه الآلة الصغيرة التي نحملها في جيوبنا إلى كل مكان نذهب إليه؛ وتأخذ من وقتنا الشيء الكثير ؛ ولا نتوقف عن تغيير ماركاتها (الأجيال) مع كل ظهور لتطبيقات جديدة ولم تعد حكرا لجنس بعينه أو طبقة محددة ولا سن محدد إنها تغزو الكل وتفتن الجميع، بل أكثر من ذلك لقد اعتبرها الأمريكيون "**الخطر الاستراتيجي**" الأكثر أهمية، ذلك لان شباب الولايات المتحدة الأمريكية يقضون أوقات مع هواتفهم الذكية أكثر من أوقاتهم مع عائلاتهم، فكيف أمكن لهذه الآلات الصغيرة أن تخترق وجودنا لهذه الدرجة، وأن تتحكم في حياتنا وتحدد مصيرنا وتتملكنا بشكل مخيف.

يقول الفيلسوف الألماني "**مارتن هيدجر**"(Martin Heidegger) في محاضرة ألقاها سنة 1974: {إن مملكة التقنية سادة الوجود}، بل أكثر من ذلك يطرح الفيلسوف الفرنسي المعاصر "**ميشال سير**"* (1930) فكرة أن الآلة تفكر بدلا عنا فحين نبدأ بالكتابة على جهاز الكومبيوتر معتقدين أن

***- نسالة جاء في القاموس المحيط للعربية ما يلي: نُسَالة اسم : (خُيُوط كَانَت تُسْتَعْمَل قدِيمًا فِي ضَمْد الْجِرَاح"، واستعمالها في هذا النص جاء بالمفهوم الطبي ونحن نستعملها هنا مقابل المصطلح الفرنسي: eugénisme، ويمكن تعريف هذا العلم على انه البحوث الهادفة للتعديل الوراثي في الجينات البشرية، ولقد استعنا بترجمة هذا المصطلح بعمل : د. جورج كتّوره في ترجمته لعمل يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية من اجل نسالة لبيرالية جديدة.**

***- ينتقد "ميشال سير" الأطروحة الديكارتية في تحكم الإنسان في الطبيعة ويدعونا اليوم لضرورة الانتقال إلى: "التحكم في التحكم البشري" كنوع من الحكامة الجيدة في التقنية la bonne gouvernance.**

عقولنا تخضع الآلة لأرادتنا وفكرنا، فإنه في الحقيقة منطق الآلة هو الذي يفرض نفسه فبرامج الكتابة كالوارد **word** هو الذي يوجه طريقتنا في الرقن، ورغم كل ما تحمله عبارة "**ميشال سير**" (**Michel Serres**) من تهكم فإنه يعيد ترتيب علاقتنا بما يحوم حولنا من أشياء وقدرة هذه الأشياء على تسيير وعينا ونظرتنا للعالم، وهو يصور لنا كيف تحول الإنسان تحت رحمة الآلة التي يركبها وتجري به دون أن يتحكم فيها أو يكون له فرامل تكبح جنوحها أو توقفها.

لقد تمكنت العولمة بواسطة آلتها الدعائية من أن تسوق كل شيء حتى الأحلام، فالحلم ألأمريكي، المتمثل بصورة السيارة الفاخرة و"الفيلا" **villa** المجانبة للمسبح صورة تحفر في كل عقول الشباب وكأن الخلاص والجنة الوحيدة هي الثراء الفردي، ورغم كل ما كان يطرحه الدين من تصورات حول الخلاص الفردي والجماعي للأمة في العالم الأخر بعيدا عن الأنانية الضيقة عوضتها بطرح العولمة فردانية موغلة في عشق الذات وحريتها، فهل انقلبت مقولات **الخلاص**.؟..

يطرح اليوم سؤال ما الحياة السعيدة؟، وترتبط الإجابة كليا بالتصورات المادية الفردية ، فالنجاح الفردي أضحى المؤشر الأساسي لكل حياة طيبة، هل تراجع الخلاص الجماعي أمام ضربات الفردانية؟. إننا نعيش اليوم بالفعل تصاعد رهيب لمد الفردانية (**Individualisme**) التي أسست لها الحداثة، فلقد قالت رئيسة وزراء بريطانيا سابقا "**مارغريت تاتتشر**" (**Margaret Thatcher**): {لا وجود للمجتمع كل ما هنالك هم أفراد}.

حدد الإنسان قديما أصوله وعرف أجداده ومن أية أرض يأتي وضمن أي عشيرة أو مجموعة بشرية ينحدر، أما اليوم فلم يعد لكل هذا من معنى، انه التفكك التدريجي للمقولات الكلية التي كانت تشكل العوالم القديمة، فإنتاج الحداثة لفردانية منفتحة بقوة على الحرية ومفهوم المواطنة جعلت التحديدات التقليدية تضعف.

ستمس هذه الرجات (الشروخ) الكبيرة أهم مكونين للجماعات البشرية القديمة ألا وهما: 01/ **الدين** وما يتبعه من قيم أخلاقية ، فمعاول

العلم المصدعة للدين خاصة في العلم الغربي والأوربي بالتحديد والفرنسي بأكثر دقة، جعلته –أي الدين– ينحصر لصالح تيارات مادية ضيقة، دون معرفتنا أن التصدع الحداثي في العوالم القديم سينجر عنه تبعات وخيمة؛ فلم يعد للأخلاق من قاعدة متينة تقوم عليها وتضعضع الأخلاق سبب تراجع في المنظومة الاجتماعية خاصة مقولات التضامن والتنشئة الاجتماعية والاندماج الاجتماعي، فلم يعد بمقدار المجتمع إنتاج معاني وإجابات تشفي غليل الإنسان المعاصر أو تجلي له الرؤية حول فحوى الحياة وقيمتها ومعناها؛ مما سبب للإنسان المعاصر إحباط كبير وعبثية إضافة إلى فراغ روحي لم تملؤه الحبوب المهلوسة أو الديانات الجديدة كالاستهلاك أو كرة القدم أو غيرها.

تظهر اليوم قيمة الدين ونتيجة إفراغ السماء من الآلهة، وكيف أضحت الفردانية المطلقة الآلهة الجديدة، وتساعد العولمة على إشاعة هذا المرض كالوباء المتنقل في كل أصقاع الأرض، فبعد أن كان للعالم اختلافات ثقافية وثراء معيشي ينوع تصورنا لأنماط الحياة الممكنة، اختفت هذه الإمكانات، فعلى سبيل المثال: تمكن الانثروبولوجيون من إحصاء أكثر من: 15000 لغة لم يعد منها اليوم إلا: 2000 وهذا التراجع يعني أن هذه اللغات لم يعد يحملها أكثر من 06 أشخاص واختفاء لغة يعني فقدان جزء من الحقيقة البشرية وجزء من الإنسانية، لدرجة أن "**كلود ليفي شتراوس**"(**Claude Lévi-Strauss**) قال : {لا معنى للحضارة إن لم يكن هناك حضارات}، وهو فهم واضح للحضارة بمعنى الجمع وليس الفرد كما قدمها الرئيس الأمريكي السابق "**جورج بوش** الابن" (**George W. Bush**) حين قال في خطابه الشهير بعد أحداث 11 سبتمبر: {إن العالم ينقسم اليوم إلى صنفين الأخيار والأشرار، والذي ليس معنا هو ضدنا ... وان مصير الأشرار هو التصفية}، بهذا الخطاب المعولم **mondialiser** حدد "**جورج بوش**" العلاقات الدولية وعلاقة الحضارة الغربية مع الآخر.

العولمة كنتاج للحداثة لم تجلب أزماتها فقط على مستوى الثقافة والديني، بل كذلك على مستوى الطبيعة ونقصد بالطبيعة الطبيعتان:

البيولوجيا الإنسانية والطبيعة المادية؛ فمع الاستغلال المفرط لمواردها أصبح الإنسان في قلق دائم من نضوبها، الخوف من تراجع الطاقة من زوال البترول الذي أصبح نقمة مزدوجة للذي يملكه وللذي لا يملكه على حد السواء.

لم يحدث في تاريخ البشرية أن كان الاقتصاد محددا لمصير الإنسان مثل اليوم، لقد غزا كل تفاصيل الوجود الإنساني وما من فضيلة أو حالة بشرية إلا ووجد لنفسه فيها قدم، فمنطق التبادل والربح والمردودية يغزو كل الخصائص الحميمة للإنسان حتى الصداقة والدين والفن...

لم تعد للعلاقات البشرية نفس المنظومة القيمية التقليدية، كما لم يعد لسيادة الدول من معنى؛ أمام الشركات الاقتصادية العالمية فهي مستعدة لتكسير أي حدود تريد أن ترسمها المجتمعات لنفسها، فلا معنى عندها لأمن الهويات والثقافات والخصوصية، وحده تصور الإنسان المستهلك هو الذي تؤمن به وقد تعاقب الدول بكل الطرق حتى عبر "الأمم والمتحدة" والتشريعات الأكثر نبلا كحقوق الإنسان التي أضحت شرعة لانتهاك حقوق الإنسان.

إن خطر فقدان الاختلاف البشري والتعدد الثقافي أصبح حقيقة، وها هي وسائل الإعلام بايديولوجياتها المتصارعة تشكل وعينا البائس الذي لا يقدر على مقاومة صورتها و إغراءاتها، مما حتم على فلاسفة مثل: "**ريجيس دوبريه**" 1940 لوضع الدعاية موضعا للتدبر الفلسفي فيما سمي: "ميدولوجيا"*.

***-ميدولوجيا: (La médiologie) ترجمها د. "العادل خضر" ب"«علم الوسائط» أو «الوسانطيّة» "كلمة تتشكل من مقطعين الأول: "ميديا" بمعنى الوسيط : "ولوجيا" أو لوغوس بمعنى خطاب أو حقل دراسة، مفهوم أبدعه "روجيس دوبريه" في عمله المعنون: "دروس الميديولوجيا العامة " (le Cours de médiologie générale) 1991 الذي يعترف فيه بتأثيرات: "فالتر بنيامين" و"بول فاليراي"...على تشكل المصطلح، يعالج هذا الحقل المعرفي تغيرات وتطورات وتأثير التقنية علىعي الإنسان المعاصر ، ويرتكز المصطلح على ثنائية: الثقافة (عالم الأفكار) والتقنية (الأدوات و الوسائل)، وكما يدرس تاريخ تنقلات الدوائر الوسائطية (médiasphère) لأن الثقافة تنتقل من دائرة إلى أخر كالانتقال من دائرة الكلامي logosphèreإلى الكتابي graphosphère..إلى الصورة videosphère..، ولو أو "دوبريه" يجد صعوبة في فصل نظريته عن المعارف الأخرى "كنظرية التواصل" التي تجعل التحليل النقدي**

في الأخير نلخص ونقول :هناك ضرورة للتفطن إلى حقيقة اختلاف إنسان اليوم عن الإنسان القديم، وهذا التحول الجذري جعلنا أمام **إنسان جديد**** كل الجدة، ليزيل عن أعيننا غشاوة التشابه الزائف بينه وبين الإنسان الذي قدمته الفلسفات القديمة، وهذا الطرح يفرض علينا لزوما إعادة التفكير في المعارف التي كوناها حول الإنسان، فعلوم الإنسان كما تشكلت منذ قرون وجب اليوم إعادة التفكير فيها وفق هذا المنطق الجديد، فهل يمكن لسوسيولوجيا القرن العشرين إن تكون صادقة على هذا الإنسان المعطى اليوم؟، كيف يمكن أن نفهم إنسان اليوم المؤمن بالعلم والمنسلخ تدريجيا من الدين؟، ما هو إنسان التقنية؟، كلها أسئلة محرجة تفرض علينا التريث وإعادة التفكير في وهم التشابه والإبقاء على نفس المناهج على موضوع تغير وأمام هذه المعضلة وجب فتح الحوار بين التخصصات المدعوة للتضافر للتحليل والفهم الأعمق.

يسود الاعتقاد اليوم أن العولمة تمكنت من محو الثقافات الخاصة والهويات المحلية هو وهما زائف، بل العكس حدث فهذه الثقافات تقاوم وتكون أشكالا من عناد البقاء غريبة تصل أحيانا لدرجة العنف، كردة فعل للعنق الممارس لمحوها، فلا يمكن للنموذج ألأنواري الذي ساد في فرنسا وأوربا وأمريكا أن يكون صالحا للجميع، لا يمكن الحديث عن نموذج واحد صالح للعالم كله والأدهى والأمر أن هذا النموذج يعاني من أزمات في الدول والأمم التي أنتجته، حيث تشكك فيه فلا يمكن الحديث اليوم عن حقوق الإنسان والديمقراطية والليبرالية دون التحفظ على مآلاتها، انه كان حلما جميلا لا يمكن إفراغ الجميع فيه ..

للإنتاج الرمزي (الثقافة) للمجتمع موضوعا لبحوثها، لمزيد من التوسع انظر: دوبريه، دروس في علم الإعلام العام، ترجمة فؤاد شاهين، وجورجيت حداد، دار الطليعة بيروت، 1996.

****-الإنسان الجديد: مفهوم يستعمله المؤلف" هيرفي جيفان " بمعناه القطائعي (الانفصالي) عن تصورات الإنسان كما قدمته الفلسفات الكلاسيكية، وهو يستعيره من الفيلسوف "ميشال سير" والذي يقدمه بمعنى تفاؤلي، ففي محاضرته الشهيرة: "الأنامل الصغيرة" (*Petite Poucette*) 01 مارس 2011، والتي سيحولها فيما بعد إلى كتاب: بيع منه 200 ألف نسخة فقط في فرنسا ، يرى أن هؤلاء الشباب يعيشون عصرا غير عصرنا لا يحتاجون فيه لإدارة التقنية إلا لأصابعهم الناعمة.**

إن الشرط الإنساني المعول عليه كثيرا هو قول : "**لا**"، إنها : "**لا** " التي تحدد الإنسان وقدرته وإرادته ووعيه على الوقوف في وجه المشكلة أو كما قال "**البير كامي**"(**Albert Camus**): {إنها إرادة قول: "**لا**" لان الأمور تجاوزت الحدود}، قول: "**لا**" لا يعني كذلك التقوقع والانعزال في أبراج الفردانية أو العرقية، فالمشترك البشري كبير وهو ثروة يجب تنميتها تماما كالمختلف بيننا يجب احترامه كما إن الفضاء المشترك هو حيز يجب التعاون لحمايته فمرض الطبيعة في أي منطقة من الأرض ينعكس على كل العالم، كما يمكننا اعتبار "البحر الأبيض المتوسط" المشترك بيننا على الضفتين على الأقل فلا يمكن فهم الضفة منعزلة عن مقابلتها لدرجة أن بعض المختصين اعتبروا شمال إفريقيا عضوا في الاتحاد الأوربي حتى وان لم يشترك سياسيا.

إن المشترك هو البحر هذه الزرقة الشاسعة التي نشعر أمامها بالصغر، والبحر غير الأرض لا يحمل دائما الحمولة التاريخية للأرض، التي تعني الصراع من اجل الملكية، بل إن البحر مفتوحا للجميع للتعبير عن التلاقي، وكما يقول احد الأميرالات (**Amiral**) الفرنسيين في الحرب الباردة: {إن الملل في البحر كان يدفعنا للقاء الروس واللهو معهم، فلم يكن بمقدور حكوماتنا البعيدة أن تبصرنا، والخوف الشديد من أهوال البحر ومخاطره كان يدفعنا لربط علاقات أخوة مع البحارة الروس، لعل وعسى نحتاجهم في إنقاذنا إذا ثار المحيط، فلم تكن المساحة الكبيرة للمحيط إلا دافعا لنا للتضامن مع الأعداء الروس}، فتطوير مفهوم "**العيش معا**"(**le vivre ensemble**) أو "**حسن الجوار**" **le bon voisinage en islam** إنقاذ إنسانية **الإنسان الجديد**.

Tatwir

Revue Académique périodique
a comité de lécture

Septembre 2015

N:02

Labo de recherche sciences sociales
Faculté des sciences sociales
Université de Saida

Moussa abdallâh
Directeur de labo

ISSN : 1659-2335

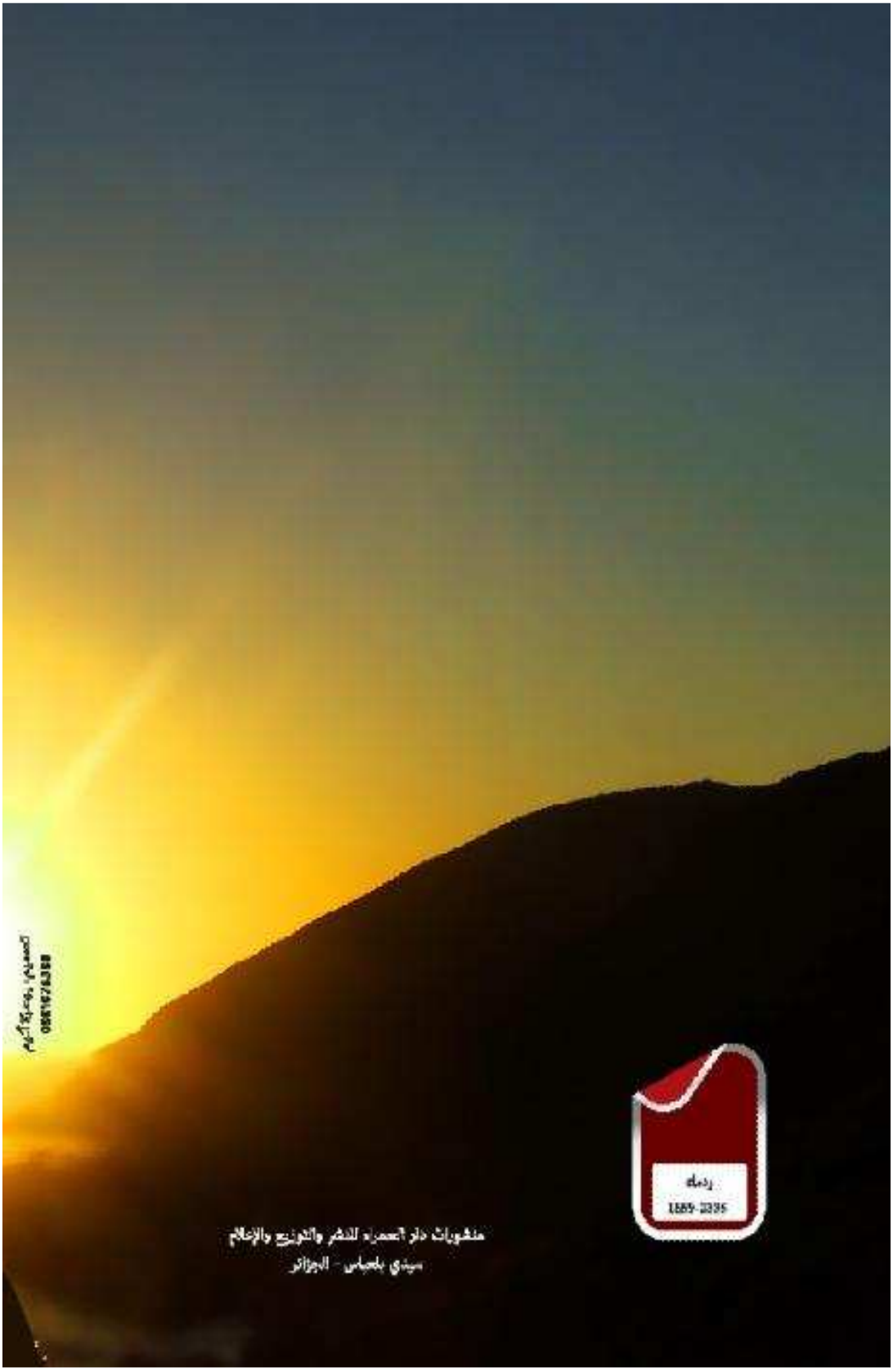
التصميم وحدة الغلاف
0561672358
ردمك
1889-2335
منشورات دار العصماء للنشر والتوزيع والإعلام
سيدي بلعباس - الجزائر